المراحل السابقة، كوسيلة لحل المشاكل التي تواجهها اسرائيل، الى أن طرح رئيس الاركان الاسرائيلي رفائيل ايتان شعاره المعروف، وهو أنه ليس هنالك من حل لـ «مشكلة» منظمة التحرير الفلسطينية غير الحل العسكري. ويوشر بتطبيق هذه السياسة على أكثر من صعيد، وفي مجالات مختلفة.

ففيما يتعلق بالمناطق المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وبعد أن اتضح أن الزعامات المحلية ترفض التعاون مع المحتل الصهيوني، لجأ الاسرائيليون، في اجراء يخجل أي كيان يطلق على نفسه اسم دولة من التعاطي معه، الى تنظيم تلك القلة من المتعاونين معهم من سكان المناطق المحتلة في عصابات روابط القرى وتدريبها وتسليحها، ثم اطلاق يدها للقيام بأعمال «زعرنة» ضد السكان العرب عامة والقيادات الوطنية خاصة. ولما لم تفلح هذه المجموعات في تحقيق أي «انجاز» يذكر، أخذ المحتل الاسرائيلي ينفذ اجراءاته القمعية مباشرة ضد الرموز الوطنية، وذلك بنفي بعض الزعماء المعروفين من المناطق المحتلة والتعرض لحياة بعضهم وإقالة رؤساء البلديات الرافضين التعامل مع الاحتلال وحل المجالس البلدية والقروية، المنتخبة، وتعيين المتعاونين مع الاحتلال بدلاً منها. ورافق هذه الاجراءات القمعية محاولات تافهة من قبل سلطات الاحتلال لاقامة «قيادة» فلسطينية بديلة لمنظمة التحرير الفلسطينية، لم تكد تبدأ حتى انتهت، بعد أن اتضح بسرعة أنها عديمة الجدوى.

وفيما كان الاسرائيليون يخوضون هذه «التجربة»، وربما بسببها، راح يتبلور، لدى دوائرهم الحاكمة على الأقل وعلى جوانبها، رأي مفاده أنه لن يحسم أي وضع في المناطق المحتلة، ولن يكون بالامكان اخضاعها للمخططات الاسرائيلية، وضمها للكيان الصهيوني تمهيداً لاقامة اسرائيل الكبرى، مالم تحسم مسألة النشاط الفلسطيني في الخارج، وخصوصاً في لبنان عامة وبيروت خاصة، حيث تتمركز القوة الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومعظم أجهزتها.

من هنا نشأت، اسرائيلياً، ضرورة التعامل مع هذه «الظاهرة» بالقوة. وباشر الاسرائيليون نشاطهم في هذا المجال في وقت مبكر، وزادهم في تصميمهم هذا التحدي الذي كان يوجه لهم بقصف مستوطناتهم الشمالية بالأسلحة الثقيلة، من مدفعية وصواريخ، في أكثر من حالة اشتباك مع القوات المشتركة اللبنانية ــ الفلسطينية الموجودة في جنوب لبنان. ففي آذار (مارس) ١٩٧٨، قامت اسرائيل بغزو جنوب لبنان، فيما سمي عملية الليطاني. ولما لم تسفر هذه العملية عن تحقيق كامل أهدافها، بعد أن حلت قوات الأمم المتحدة في المناطق التي احتلتها وأجبرت على الانسحاب منها، بينما بقيت القوات المشتركة متواجدة في مناطق شاسعة من لبنان، راح الاسرائيليون يشنون «حرب تحرير شعبية» ضد الفدائيين، بهجمات الكوماندوس الليلية ضد مواقعهم أو قصفها بالطائرات أو من البحر. وفي السابع عشر من تموز (يوليو) ١٩٨١، وفي خطوة مفاجئة قامت الطائرات الاسرائيلية بقصف للمباني في حي الفاكهاني في بيروت على سكانها، فقتلت العشرات منهم، لاعتقادها خطأ أنها تضم مكاتب العمليات المركزية للمقاومة. وتبع ذلك اشتباكات واسعة، استمرت نحو عشرة أيام، وانتهت بوقف لاطلاق النار، صمد بشكل أو بآخر حتى بداية الغزو الاسرائيلي للبنان، في مطلع حزيران (يونيو) الماضي.